على هامش المؤتمر الخامس والثلاثين للدراسات الآسيوية والشمال افريقية

كيف ومتى تأثرت اللغة العبرية باللغة العربية؟

□ *بودابست – ثائر صالح*

■ قدم البروفسور آفي شفتيل محاضرة في المؤتمر الخامس والثلاثين للدراسات الآسيوية والشمال افريقية الذي انعقد في بودابست في تموز (يوليو) الماضي، تحدثت عن تأثير اللغة العربية على اللغة العبرية في مختلف المراحل التاريخية، منذ فجر الاسلام لغاية اليوم. والبروفسور شفتيل باحث في مكتبة جامعة كامبردج البريطانية، ويحقق الآن عدداً من المخطوطات المكتوبة بالعربية وتعود الى الطائفة اليهودية في مصر.(١)

واللغتان العبرية والعربية، الى جانب العديد من اللغات الاخرى التي انتشرت في الشرق الأوسط مثل الآكادية والبابلية والكنعانية والآرامية وغيرها، تصنف ضمن عائلة اللغات السامية. ويعني ذلك نشوء هذه اللغات من أصل واحد أسماه العلماء اللغة السامية الأم، وهو افتراض منطقي لكنه لم يوثق بدلائل ملموسة لحد الآن. وتتشابه اللغتان العبرية والعربية في العديد من الاوجه، ونجد في اللغة العربية (لهجة قريش) وفي العبرية الكلاسيكية (عبرية التوراة) تشابهاً في معاني الكلمات، ليس أفصح منه التشابه في أهم كلمة من السطر الأول للتوراة مع كلمة عربية نكررها يومياً: الباري عز وجلّ، الخالق. وتبدأ التوراة بالشكل الآتي: «بريشيت بارا ايلوهيم ها شمايم وها ارص». وترجمتها «في البدء خلق الاله (في الأصل: الآلهة بالجمع) السموات والأرض»، والفعل العبري بارا يخلق، وهو الفعل نفسه الذي مصدره العربي الباري.

وكان تأثير العربية على العبرية شديداً في آخر ثلاث من مراحل تطور اللغة العبرية التاريخية. والمرحلة الأولى من مراحل تطور اللغة العبرية في العصور القديمة جاءت قبل الميلاد، قبل وأثناء السبي البابلي لليهود عندما دون الاحبار كتب التوراة وباقي أسفار العهد القديم بلغة تفرعت عن اللغة الكنعانية (اللغة السامية الأساسية لشعوب بلاد الشام)، وتطورت عنها هي اللغة التي يسميها الباحثون بالعبرية. واختتمت هذه المرحلة بانحسار العبرية كلغة تخاطب بين العبرانيين، واقتصارها على الاستعمال الديني في الكنيس في القرون الأولى قبل الميلاد. وعند ازاحة اللغة الآرامية للعبرية كلغة تخاطب، بدأت المرحلة الثانية من مراحل تطور اللغة العبرية التي استمرت لغاية الفتح العربي الاسلامي، وتميزت بتأثير شديد للغة الآرامية اذ كتبت الشروح بهذه اللغة التي اصبحت لغة التخاطب في الشرق الأوسط برمته. وظهرت في هذه الفترة كتب المشناه والتلمود التي تفسر النصوص العبرية للعهد القديم.

ومنذ نشوء الدولة العربية وانتشار الاسلام، اصبحت اللغة العربية اللغة السامية الأهم من بين اللغات السامية الحية آنذاك، والتي ازاحت الآرامية من عرشها لتحل محلها، ولتصبح اللغة التي تحدثت بها شعوب المنطقة. وهنا بدأ تأثير العربية على العبرية التي حافظ عليها اليهود في محافلهم الدينية، واستعارت العبرية كلمات وتعابير ومفاهيم وجملاً وتراكيب كثيرة من اللغة العربية، وقد انحصرت اللغة العبرية في شذرات هنا وهناك، قصائد استنسخت فن نظم الشعر العربي وبحوره، ونثر قلد أساليب الإنشاء العربي. ولم يقتصر التأثير على ميدان اللغة فحسب، بل ان الثقافة والفكر العربيين أثرا بشكل كبير في تفكير اليهود، خصوصاً في الأندلس.

وتحدث اليهود – العامة والمثقفون على السواء – بالعربية في ارجاء الامبراطورية كافة وألفوا بها أعمالهم، ولربما استعملوا الحروف العبرية لكتابتها. وبرز موسى بن ميمون (ميمونيدس عند الأوروبيين) من بين العلماء اليهود الذين ألفوا دراسات حول الدين اليهودي بالعربية وكتبوها بالحروف العبرية. وتسمى هذه اللغة باليهودية – العربية، وهي في أبعد تقدير لهجة من اللهجات العربية المحلية (العامية)، مطعمة بكلمات عبرية الأصل هنا وهناك.

ولننظر الى نص من نصوص هذه اللغة كتب في القرن السادس عشر الميلادي بالحرف العبري يصف قصة النبي يوسف «عبيد ان شيت (شنت) اطلقنا وإن شيت ادخلنا للسجن. فقال لهو (له) يوسف ماسمك. قال لهو عبدك ومملوكك ياؤده (يهوذا) فقال لهو يوسف قد بان لي منك انك أخيَر من اخوانك وأنت صادق أمين. فسجد ياؤده على وجهه للأرض شاكرن (شاكراً) ليوسف على حسن لطفه به. فقال يوسف ياياؤده أين فضتكم الذي (هكذا، بدلاً من التي) أتيتو...». هذا النص المكتوب بالحرف العبري المربع التقليدي، هو نص عربي اللغة مئة في المئة، ولا نجد فيه ما يختلف عن اللغة العربية المستعملة في القرن السادس عشر الميلادي. ونلحظ من النص ان الكاتب لم يستعمل التنقيط العبري المقابل للتحريك العربي، واستعاض عنه باستعمال أحرف العلة لتدوين الحركات العربية، لذا يكتب لهو بدلاً من له، وشاكرن بدلاً من شاكراً، وفي هذا انعكاس للتقاليد الآرامية في استعمال احرف العلة لضبط الشكل. وتلك الفترة مثلت المرحلة الرابعة من مراحل تطور اللغة العبرية التي تقهقرت أكثر فأكثر لتحتمي في بطون الكتب الدينية لليهود.

ويأتي استعمال اللغة العبرية الحديثة التي تم ابتكارها في اواخر القرن التاسع عشر من قبل مفكري الحركة القومية اليهودية النامية في أوروبا للعديد من الكلمات والتعابير العربية التي تتزايد باستمرار، دليلاً آخر على عمق التأثير الذي مارسته العربية على اللغة العبرية ولا تزال. وأحصى البروفسور شفتيل ٧٠٠ تعبير عربي الأصل في العبرية الحديثة المستعملة اليوم في اسرائيل، وهو رقم في تزايد يوماً بعد يوم. وما كان لهذه اللغة الجديدة من يكتب بها الأدب والشعر في بداية الامر، وتأخر ظهور كتّاب وشعراء كبار الى العقود الاخيرة. ومع ذلك يمكن القول ان افضل من يكتب القصة في اسرائيل اليوم هم يهود ينحدرون من اصول عربية، بينهم سامي ميخائل وسمير نقاش، اما الشعر فبرع فيه مهاجرون روس مثل شالوم رابينوفتس (المعروف بشالوم عليخيم) وشاؤول تشرنخوفسكي، ونجح يهودي مجري الأصل هو افراييم كيشون (فرنتس كيشهونت) في وضع اساس الأدب الساخر الذي تعود جذوره الى أوروبا الوسطى.

التقيت البروفسور شفتيل بعد ختام المؤتمر فحاورته عن المحاضرة التي قدمها، وعن تقييمه للمؤتمر الذي شارك فيه اكثر من ألف مستشرق. كنت أود معرفة رأيه عن هذا المؤتمر، والفارق الذي لمسه عند مقارنة هذا الحدث المهم بمؤتمرات سابقة أصغر، نظمها قسم اللغة العربية في جامعة العلوم المجرية حضرها في العامين ١٩٩٣ و١٩٩٥، فأجاب البروفسور شفتيل «ان الفارق الأساسي يكمن في العدد، ففي السابق اشترك ٤٠ – ٥٠ شخصاً في ندوة تقيدت بمواضيع معينة، اما الآن فقد اشترك عدد كبير من العلماء في اعمال هذا المؤتمر الذي استضافته بودابست، والمجر دولة مهمة في ميدان الدراسات الشرقية، وتعرفنا على شخصيات جديدة من مختلف انحاء العالم».

وقال شفتيل بعد سؤالي عن تأثير العبرية على العربية: ان تأثير العبرية على العربية ليس كبيراً، والعكس هو الظاهرة الجديرة بالدراسة لكثرة الكلمات والتعابير والمفاهيم التي اقتبستها العبرية من العربية. وسبب ذلك تجمد العبرية لفترة طويلة من الزمان، ولم يستعمل اليهود العبرية في التخاطب اليومي بل العربية لأن اللغة العربية هي أقوى لغة سامية في العالم، وهي كثيرة القرب من اللغة السامية الأم التي تفرعت عنها اللغات السامية المختلفة. واحتفظت العربية بكل الحروف والأصوات المميزة للغة السامية الأم. ولا شك في وجود تأثير ونفوذ للغة العربية على اللغة العبرية الحديثة التي بدأت تحيا او يعاد احياؤها من جديد منذ ١٠٠ عام تقريباً. ومنذ القرن الثاني الهجري (القرون الوسطى) اصبحت اللغة العربية اللغة المحكية المستعملة لدى عامة اليهود الذين عاشوا في ظل الحكم الاسلامي، ولم يستعملوا من العبرية الا القليل من الكلمات وبعض العبارات. واستعمل كبار العلماء اليهود اللغة العربية لكتابة اعمالهم في العصر الوسيط، مثل الميمون (موسى بن ميمون المعروف بالميموني ١١٣٥ – ١٢٠٤) وهاليوي (يهوذا بن صمويل هاليوي ١٠٨٥ – ١١٤٠ المعروف بأبي الحسن اللاوي، من الأندلس)، الا انهم استخدموا بعض الكلمات والعبارات من التوراة والمشناة والترجوم.

لكن سيطرة اللغة العربية على الشرق الأوسط سبقتها سيطرة اللغة الآرامية قبل الاسلام. واعتبرت اللغة السامية الآرامية ما يصطلح عليه بـ Lingua Franca، او لغة التفاهم بين الشعوب، واستعملها اليهود للمخاطبة ولكتابة التلمود احد اهم الكتب الدينية. وكتب اليهود الذين عاشوا في بابل التلمود البابلي الذي هو من كتب التفسير والمشناة وهو تكرار للعهد القديم لكن باللغة الآرامية. وبعد الفتح العربي الاسلامي للمنطقة حلت العربية محل الآرامية، لكن اليهود احتفظوا بالآرامية لأنها لغة التلمود ليس إلا.

وسبب الآراميون مشاكل كثيرة لليهود الذين سكنوا فلسطين، وكانوا مسؤولين عن المنفى (السبي) اليهودي المشهور وطرد اليهود من مسكنهم في الشرق الأوسط الى آرام.(٢) وبعد ذلك تبنى اليهود اللغة الآرامية وهي اللغة التي استعملها السيد المسيح، واستعملتها كل شعوب الشرق الأوسط آنئذ.(٣)

وحاولت معرفة سبب غياب تلك الدراسات المقدمة الى المؤتمر المتعلقة بحضارة وادي الرافدين ومنطقة الشرق الأدنى القديم بشكل عام، فقال البروفسور شفتيل «لم نكن مهتمين بهذا الموضوع لفترة طويلة من الزمن، الا انه بعد حملة نابليون على مصر قبل ٢٠٠ سنة، بدأ الأوروبيون يدلوننا على تراث الشعوب التي تعيش في الشرق الأوسط. ومنذ قيام شعوب أخرى مثل الفرنسيين والانكليز والألمان والروس وغيرهم بدراسة تراث الشرق الأوسط، اخذنا نشعر بأننا ظلمنا تراثنا، وبدأنا نتعلم منهم كل ما يتعلق بتراثنا. ومعرفتنا بهذا التراث معرفة نظرية طبيعية، في حين معرفة الأوروبيين له معرفة بنيت على التجربة الشخصية، فهي ليست طبيعية لأنهم لم ينشأوا في بيئة الشرق الأوسط. اما اليوم فهناك علماء عرب وغير عرب يعيشون في الشرق الأوسط ولهم معرفة جيدة لأنهم درسوا في الخارج وطبقوا ما درسوه في ابحاثهم. لذلك ليس من شك في ان الرعيل الأول من العلماء الذين يعملون في مجال تراث الشرق الأوسط هم عرب يعيشون في هذه البلدان. اما المؤتمر الحالي، فقد وفّر لنا فرصة نادرة للقاء علماء من مختلف البلدان والاختصاصات وتبادلنا الافكار وبدأنا عملية تعاون واسعة، فالعالم اليوم معقد اكثر وهناك كم هائل من المعلومات يصعب التعامل معه بشكل فردي، لذا يتوجب تعاون العلماء من مختلف بقاع العالم للتوصل الى النتائج المطلوبة».

وكان الرئيس المجري آرباد غونتس افتتح المؤتمر الخامس والثلاثين في السابع من تموز (يوليو) الماضي، وألقى الأمير الحسن بن طلال ولي عهد الأردن كلمة في الحفل اكد فيها على ضرورة تجنب النظرة الاحادية الجانب وقراءة تاريخ العالم من منظور الثقافة الغربية (الأوروبية) فحسب. ورحب البروفسور جورج هازاي رئيس المؤتمر بالمستشرقين ودعاهم الى صياغة توصياتهم لمواجهة تحديات القرن الحادي والعشرين. وقد عقد المؤتمر الأول في العام ١٨٧٣ في باريس، وانقطع عقده مرتين، في فترتي الحربين العالميتين الأولى والثانية. وعقد المؤتمر مرة واحدة في أرض عربية هي الجزائر أيام الاحتلال الفرنسي، في العام ١٩٠٥. ومن المتوقع عقد المؤتمر السابع والثلاثين في الأردن في العام ٢٠٠٣. اما المؤتمر القادم فسيعقد في مونتريال بكندا في العام ٢٠٠٠، وأصبح البروفسور شارل لوبلان رئيس المؤتمر المقبل.

وقد التقيت البروفسور جورج هازاي رئيس المؤتمر الخامس والثلاثين للدراسات الآسيوية والشمال افريقية عضو اكاديمية العلوم المجرية، وهو متخصص في التركيات لمعرفة رأيه بالمؤتمر فقال: «كان المؤتمر ناجحاً، فقد اجتمع علماء بارزون من عشرات البلدان، وكان عندهم ما يقولون لبعض، وقدموا مداخلات ومحاضرات رفيعة المستوى تلقاها المستمعون بتقدير، والتي سيتلقاها اولئك الذين سيقرأونها في كتاب يصدر لاحقاً بتقدير أيضا».

وعن الاقتراح الذي قدمه الأمير الحسن ولي عهد الأردن لاستضافة المؤتمر القادم، أضاف البروفسور هازاي: «في الحقيقة كانت هناك مشكلة تكتيكية لا غير، فقد تأخر الاقتراح، اذ قدم الكنديون مقترحهم في مؤتمر هونغ كونغ قبل أربعة اعوام لاستضافة المؤتمر وقدموا ميزانيته. وعلى الرغم من ذلك، وحسب مبدأ تداول محل عقد المؤتمر بين القارات، نعتقد بأن الدور سيأتي الى الشرق الأوسط، ولذلك استقبلنا دعوة الامير الحسن بن طلال بعقد المؤتمر في عمان بحدود العام ٢٠٠٣ بارتياح، وسيساعد هذا بالتأكيد في تعزيز فاعلية مشاركة العلماء الذين يعيشون في بلدان الشرق الأوسط وشمال افريقيا في الحياة العلمية العالمية».

في هذا المؤتمر لم نلتق للأسف بأي عربي شغل منصباً في هيئات المؤتمر، بالمقابل انتخب الدكتور عبدالجليل التميمي الأستاذ بكلية العلوم الانسانية الاجتماعية بجامعة تونس الأولى نائباً لرئيس المؤتمر السادس والثلاثين للدراسات الآسيوية الذي سوف يعقد في مونتريال. وتتكون الهيئة المديرة التي تشرف على المؤتمرات العالمية من رئيس ومن امين عام. وانتخب التميمي ليكون أحد نواب الرئيس ليمثل العالم العربي في هذه المؤتمرات الدولية، وقبل ذلك لم يمثل احد العالم العربي لسوء الحظ. ويعتقد التميمي بأن توعية العمل الاكاديمي العربي اعطى ثقلاً جديداً للمنطقة العربية.

١ – B. Hary: The Impact Of The Cairo Genizah Documents on The Study of The History Of Arabic. Bulletin Of The Israeli Academic Centre in Cairo. No. 21. July 1997. P. 38.

٢ – بلاد آرام، حسب المعلومات المتوافرة، تقع في البادية السورية، ويبدو ان المقصود هو بابل، وقد كثرت في تلك الحقبة الدويلات الآرامية في منطقة الجزيرة وأعالي الفرات وفي جنوب العراق أيضاً.

٣ – لا تزال الآرامية مستعملة الى اليوم في مناطق نائية من كردستان، وفي بعض قرى جبال لبنان الشرقية الى جانب اللغة السريانية، احد الفروع المهمة للآرامية، وهي لغة لا تزال محكية في الشرق الأوسط يتكلمها المسيحيون الذين ينتمون لبعض الكنائس الشرقي

من الحياة

لا للارهاب

■ وضع الأمير نايف بن عبدالعزيز وزير الداخلية السعودي النقاط على الحروف بالنسبة الى الارهاب الذي ابتلت به منطقتنا واسلوب المعالجة والمواجهة الحاسمة بالتعاون الكامل والتام بين الدول العربية حتى نعيد لأمتنا أمنها واطمئنانها واستقرارها.

فالارهاب بضاعة اجنبية جاءتنا من الغرب والشرق، ثم جاء الصهاينة وزرعوا الرعب والخوف والارهاب في كل مكان فشكلوا المنظمات الارهابية مثل شتيرن والهاغاناه وارغون وغيرها ليقوموا بسلسلة عمليات الاغتيال والقتل والتفجير والتدمير والخطف «على عينك يا تاجر». بل ان اسرائيل بكامل هيئاتها تمارس ارهاب الدولة بأبشع صوره وبأقسى انواع الوحشية والحقد.

ثم جاءت الصراعات الاجنبية والحروب الباردة والساخنة لتنشر هذه الآفة وتزرع بذور عدم الاستقرار بعد ان تبنى بعض العرب والمسلمين هذا الأسلوب وبدأوا يقلدون ما شهدوه من الآخرين عن جهل أو عن تعصب أو عن سوء نية وعمالة للجهات المعادية لأمتنا.

وقد تآمر هؤلاء وتبادلوا الادوار بمشاركة الماكينة الاعلامية الصهيونية العالمية ليلحقوا تهمة الارهاب بالعرب والمسلمين ويحاولوا تشويه صورة الاسلام وتضليل (الرأي العام) العالمي، مع ان كل الدلائل الدامغة تفضح حقيقة من هو الارهابي خصوصاً بعد مسلسل الفشل الذي لازم عمليات «الموساد» الأخيرة من محاولات اغتيال ونسف وتنصت وتجسس وخطف المدنيين والابتزاز للمساومة على اطلاقهم.

ومن هنا تأتي اهمية الاستجابة العربية لنداء الأمير نايف الذي تركز على محورين:

● الأول يقوم على تنفيذ الاتفاقية العربية لمكافحة الارهاب، وتعزيز التعاون العربي الكامل والقوي والبناء لمواجهة الارهاب لندرأ عن أمتنا المخاطر ونغلق الأبواب في وجه الاعداء حتى يتم الالتفات لمشاريع تدعيم الاستقرار والأمن والازدهار وتعزيز الأواصر واظهار الحقيقة الناصعة للعالم اجمع.

● والمحور الثاني يقوم على ان يترفع كل مسلم وعربي عن مثل هذه الممارسات حتى لا يكون أداة للغير لأن مبادئ المسلم وكرامة العربي لا تقبل ذلك ولا تفيد شعوبنا وأمتنا بل تنشر الدمار وتوقع الضحايا وتشوه صورتنا أمام العالم أجمع. فما نراه اليوم وكل يوم من عمليات ارهابية في الجزائر وغيرها لا علاقة له بالاسلام ولا بالعرب، لان الاسلام هو دين المحبة والتسامح والأخلاق الحميدة والاعتدال لأمة الوسط، ودين الحوار والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن.

●●●

● **خلجة**

من القارئ الصديق علي مراش – حلب:
في لحظات الشوق
ألجأ الى حقيقتي الأبدية
وأتدثر بأحلامي
فيصير العمر
كل العمر
وعداً لعينيك!.

عرفان نظام الدين

نوادر من التراث

● كان مسلمة بن عبدالملك اذا كثر عليه اصحاب الحوائج وخشي الضجر، أمر باحضار ندمائه من أهل الأدب، فيتذاكرون مكارم الناس وجميل مروءاتهم، فيطرب، ثم يقول: ائذنوا لأصحاب الحوائج. فلا يدخل عليه أحد إلا قضى حاجته!

● كان المهدي يصلي الصلوات الخمس بالمسجد الجامع بالبصرة لما قدمها. وأقيمت الصلاة يوماً، فقال أعرابي: يا أمير المؤمنين لستُ على طُهر، وقد رغبتُ الى الله تعالى في الصلاة خلفك، فأمر هؤلاء ان ينتظروا!
فقال: انتظروا رحمكم الله.
ودخل المحراب، فوقف الى ان أقبل وقيل له: قد جاء الرجل، فكبّر.
فعجب الناس من سجاحة اخلاقه!

● قال كسرى يوماً لبعض عماله: كيف نومك بالليل؟
فقال: أنامه كلّه!
فقال: أحسنت، لو سرقتَ ما نمتَ هذا النوم!

● وكان كسرى اذا غضب على أحد من خاصته هجره ولم يقطع عنه خيره، فقيل له في ذلك فقال: نحن نعاقب بالهجران لا بالحرمان!

● لما ظهر ماني الزنديق في أيام سابور بن أزدشير ودعا الناس الى مذهبه، أخذه سابور، فأشار عليه نصحاء دولته بقتله، فقال: ان قتلتُه من غير ان أقطعه بالحجة قال العامةُ بقوله، ويقولون: ملك جبار قتل زاهداً، ولكني أناظره، فإذا غلبتُه بالحجة قتلتُه.

● قال كسرى لحكماء الفرس وقد اجتمعوا اليه: ليتكلم كل واحد منكم بكلمات ولا يكثرها. فقال أحدهم: خير الملوك أرحبهم ذرعاً عند الضيق، وأعدلهم حكماً عند الغضب، وأرحمهم اذا سلّط، وأبعدهم من الظلم عند القدرة، وأطلبهم لرضاء الرعية، وأبسطهم وجهاً عند المسألة.
فقال كسرى: حسبي هذا، لا أريد عليه مزيداً!

● حُكي ان مضحكاً حكى في مجلس يزدجرد حكاية كذب فيها على نفسه ليضحك الملك، فقال له يزدجر: ويحك! أما علمت أنا نمنع رعيتنا من الكذب ونعاقبهم عليه؟ فقد قالت الحكماء: الكذب كالسموم، تَقْتُلُ إذا استُعملت مفردة، وقد تدخل في تراكيب الأدوية فيُنتفع بها. ولا ينبغي للملك ان يطلق الكذب إلا لمن يستعمله في كبد الأعداء وتألُّف البُعداء. كما لا ينبغي ان يطلق السموم إلا للمأمونين عليها، المانعين لها من المفسدين.

● رأى الفتح بن خاقان شيئاً في لحية المتوكل، فقال: يا غلام، هاتِ مرآة أمير المؤمنين. فجاء بها، فنظر المتوكل وأخذه بيده.

الفارابي والبحث في فلسفة الذات البشرية

الكتاب: الإنسان في فلسفة الفارابي
المؤلف: إبراهيم العاتي
الناشر: دار النبوغ، بيروت ١٩٩٨

راجعه: مهدي السعيد

■ ربما تكون الاستدلالات الفلسفية جميعها قد انشقت بتراكم الزمن منذ أن بدأت الومضات الأولى لتشكيل العلاقة بين الإنسان والطبيعة أو بينه وبين ذاته تتبلور بصيغة العقائد والعادات التي تطورت إلى مفاهيم ومقولات فلسفية ووصلت إلينا كمنظومة شاملة من المناهج المتعددة الاتجاهات والتيارات التي تصنف وفقاً لمرجعيتها التي تعبر عند كل فيلسوف عن خصائص الموروث الفكري والحضاري للأمة التي ينتسب إليها، مضافاً إلى ذلك درجة اقتراب هذا الفيلسوف أو ذاك من العناصر المشتركة بين الحضارات العالمية التي لم تشهد انقطاعاً في التزاوج أو التواصل منذ أن بدأت كإشارات وملامح وإلى أن تطورت إلى مستوى النظريات.

ولعل معظم الفلاسفة القدماء انطلقوا بمفاهيمهم من نقطة واحدة ثم تفرعوا إلى الجوانب الأخرى العديدة التي تتصل جذورها العميقة بهذه النقطة التي خصص لها الفارابي جل اهتمامه طوال مراحل عمله الفكري والثقافي، تلك هي «ذات الإنسان» أو بالأحرى «الإنسان ككائن»، له خصوصيات تبدأ من «العقل» وتنتهي عند «النفس»، وهذا بالذات ما يميزه عن أجيال الفلاسفة اللاحقين. الدكتور إبراهيم العاتي حاول أن يجمع جهد الفارابي الفلسفي المتعلق بـ «الذات الإنسانية» في كتاب «الإنسان في فلسفة الفارابي»، معتمداً على المصادر الأصلية للفلاسفة ومسترجعاً لأغلب مؤلفات الفارابي المخطوطة والمطبوعة، كما يقول في مقدمة الكتاب، الذي هو في حقيقته رسالة دكتوراه قدمها إلى جامعة القاهرة، قسم الفلسفة. وقد ناقش من خلال عرضها جوهر فلسفة المعلم الثاني ابي نصر الفارابي، من المنهج والاستنتاجات والمقارنات المختلفة إلى الفروق في نظرة الفارابي لمنهج استاذه ارسطو (المعلم الأول) عند اليونانيين.

وتكمن أهمية الفارابي الفكرية في كونه أرسى قوام مدرسة مستقلة بذاتها انتزعت مكانتها المتقدمة بين المدارس الفلسفية العالمية منذ أن أزيح عنها غبار الزمن الماضي وإلى الآن، وبذلك فتحت الأبواب على مصراعيها لاحتضان العديد من المساهمات التي ظهرت في ما بعد في أصقاع العالم الإسلامي كفروع مضيئة لتلك الشجرة المعطاء التي أنبتها الفارابي.

قسم المؤلف كتابه إلى تمهيد وستة فصول، خصص التمهيد لعرض مراحل حياة الفارابي، في حين خصص الفصل الأول لموضوع منهج الفارابي واشتمل على مواضيع المنهج بذاته، بينما تناول الفصل الثاني بحوثاً في أصل فكرة الكتاب «الإنسان في علاقته بالله والعالم»، معتمداً على اسلوب الاستعراض والمقارنة بين الفلسفة القديمة وأفكار «المعلم الثاني» وكذلك الفلسفات الحديثة. وخصص الفصل الثالث لموضوع «النفس الإنسانية»، والفصل الرابع تناول فيه «نظرية المعرفة» واستخدمها منطلقاً لمعرفة طبيعة العقل البشري. وتناول الفصلان الخامس والسادس مواضيع عدة كـ «الإنسان في مجال الاخلاق» و«الإنسان وعلاقته بالمحيط الاجتماعي».

وفي خلال عرض جوهر فلسفة الفارابي يستشهد الدكتور العاتي بحصيلة واسعة من الآراء التي عاصرت الفارابي أو التي جاءت بعده، ومعظمها إنصب على طابع الفلسفة الإنسانية التي اعتمدها أبو نصر الفارابي الذي تعددت مواهبه الموزعة بين الترجمة والموسيقى والعلوم والفلسفة، مما أكسبها أبعاداً تنويرية بارزة تأسست في ظل الثقافة العربية الإسلامية التي شكلت جزءاً من نسيجه الروحي والعقلي وتلمعت أضواؤها باطلاعه على ثقافات الأمم الأخرى، خصوصاً الثقافة اليونانية التي اتقن لغتها، فتقدم لتطوير هذه الثقافة في نطاق الفكر اليوناني أيضاً وبالذات الأرسطي منه، بعد أن احاط بها إحاطة شاملة. أما منهجه الذي اعتمد على جملة الوسائل المحددة التي أوصلته إلى غاية البحث، فكان متعدداً ومتنوعاً، أي بعبارة أدق استخدم أكثر من منهج في عمله الفكري طبقاً لطبيعة الموضوع المطروح.

ولأن الكتاب ركز على الجانب الفلسفي المتعلق بالإنسان، فإن أبرز ما فيه (في إطار الذات الإنسانية) هو موضوع «الإنسان في علاقته بالله والعالم»، وكذلك «النفس الإنسانية». وبخصوص العلاقة الإنسانية بالخالق، فإن المعلم الثاني يصنف مفهوم الإنسان في بعدين: آلهي وكوني، وهذا ما يتفق عليه معظم الفلاسفة المسلمين من بعده أيضاً. والموضوع الآخر المتعلق بـ «نفس الإنسان وأنفس الموجودات»، فإن فيلسوفنا الفارابي ربما يكون أكثر الفلاسفة استطراداً بإيفاء هذا الموضوع عناية فائقة. وفيه يناقش «قوة العقل» عند الإنسان، ويربط هذه القوة بالحواس الأخرى، ولا يقصر وجود النفس على عالم الإنسان، بل يجعلها شاملة لكل المخلوقات، فكل شيء في هذا العالم له نفس معينة. ولذلك فإن الفارابي يكون أول من حدد معالم علم النفس في الإسلام كما ينقل من كتاب «في الفلسفة الإسلامية» للدكتور إبراهيم مدكور.

وفي هذا الخصوص يختلف الفارابي مع استاذه ارسطو (المعلم الأول) وينتقد افلاطون بشكل صريح حيث يقول «لا يجوز وجود النفس قبل البدن كما يقول افلاطون، ولا يجوز انتقال النفس من جسد إلى جسد كما يقول التناسخيون».

وترتبط موضوعة «النفس» عند الفارابي بـ «نظرية العقل»، وربما يكون قد استعان بما وصل إليه أبو اسحق الكندي في كتابه «رسالة من العقل»، حيث تناول فيها معاني العقل، بينما قام الفارابي بتحليل معاني العقل المختلفة عند عامة الناس وعند المتكلمين والفلاسفة، خصوصاً ارسطو وبعض الشراح.

أما الجانب العلمي في فلسفة الفارابي فإنه يتمثل بعلم الاخلاق، حيث جعل الاخلاق والقيم، كما يقول العاتي، النتيجة النهائية لكل المقومات التي طرحها في فلسفته، وهذا الجانب بطبيعته، جانب إنساني، بل يشكل الخلاصة النهائية لتلك الفلسفة، لأن تمام السعادة – كما يقول الفارابي بحق – بمكارم الاخلاق، كما ان تمام الشجرة بالثمرة. وتأكيداً، فإن الفارابي ربما سبق غيره في تفسير الظاهرة الاجتماعية للبيئة الإنسانية، وهو أول من عبر عن الطابع الاجتماعي عند الإنسان، حيث قال «لأن الإنسان من الأنواع التي لا يمكن ان يتم لها الضروري من أمورها ولا تنال الأفضل من أحوالها إلا باجتماع جماعات منها كثيرة في مسكن واحد». ثم يقسم المجتمعات حسب طبيعة التعاون الاجتماعي أو التجمع الكمي. ولذلك فإن مفهوم «الأمة» الذي نعرفه في عصرنا الراهن كان قد استمد مقوماته من واقع الأمة الإسلامية التي ترمي إلى تأسيس دولة أو «خلافة» تتجاوز موانع الجنس واللون والأرض. في حين ان مفهوم الأمة لم يظهر في تراث الفلاسفة اليونانيين، لأنه كان مقصوراً على «المدينة».

مواضيع الكتاب ترتكز، كما قلنا، إلى تجميع تراث الفارابي الفكري والفلسفي المرتبط بفلسفة الذات البشرية، وقد حقق هذا الهدف، حيث جمع الكتاب حصيلة من الجهد البناء الذي قدمه الدكتور إبراهيم العاتي في إصدار مثل هذا العمل المهم والمطلوب لاغناء المكتبة العربية وتقريب الأجيال إلى معرفة تراثها وحضارتها وذاتها الإنسانية أيضاً.

المدينة	الفجر	الشروق	الظهر	العصر	المغرب	العشاء
مكة المكرمة	٥,١٠	٦,٢٤	١٢,٣١	١٥,٥٤	١٨,٣٣	٢٠,٠٣
المدينة المنورة	٥,٠٩	٦,٢٤	١٢,٣٠	١٥,٥٦	١٨,٣٣	٢٠,٠٣
القدس المحتلة	٤,٢١	٥,٤٣	١١,٤٨	١٥,١٥	١٧,٥٢	١٩,٠٧
ابو ظبي	٥,١٠	٦,٢٥	١٢,٣١	١٥,٥٦	١٨,٣٣	١٩,٤٥
المنامة	٤,٢٥	٥,٤١	١١,٤٨	١٥,١٣	١٧,٥١	١٩,٠٢
الجزائر	٥,٢٦	٦,٥٠	١٢,٥٨	١٦,٢٢	١٩,٠٠	٢٠,٢١
الخرطوم	٤,٤٢	٥,٥١	١١,٥٨	١٥,٢٠	١٨,٠٣	١٩,٠٨
الكويت	٤,٣٤	٥,٥٣	١٢,٠٠	١٥,٢٦	١٨,٠٢	١٩,١٥
الرباط	٥,٠٨	٦,٣٠	١٢,٣٧	١٦,٠٣	١٨,٣٨	١٩,٥٦
الرياض	٤,٤١	٥,٥٦	١٢,٠٣	١٥,٢٨	١٨,٠٦	١٩,٣٦
الدوحة	٤,٢٠	٥,٣٦	١١,٤٣	١٥,٠٩	١٧,٤٥	١٨,٥٦
القاهرة	٤,٣١	٥,٥٨	١٢,٠٥	١٥,٣١	١٨,٠٧	١٩,٢٦
بيروت	٤,١٨	٥,٤١	١١,٤٨	١٥,١٣	١٧,٤٩	١٩,٠٧
بغداد	٤,٤٤	٦,٠٥	١٢,١١	١٥,٣٧	١٨,١٥	١٩,٣٢
تونس	٤,٥٧	٦,٢٣	١٢,٢٨	١٥,٥٤	١٨,٣٢	١٩,٥٢
جيبوتي	٥,٠٠	٦,١٠	١٢,١٦	١٥,٣٥	١٨,٢١	١٩,٢٦
دمشق	٤,١٥	٥,٣٨	١١,٤٥	١٥,١١	١٧,٤٧	١٩,٠٣
دبي	٥,٠٥	٦,٢١	١٢,٢٨	١٥,٥٤	١٨,٣٠	١٩,٤١
صنعاء	٤,٥٥	٦,٠٥	١٢,١٣	١٥,٣٣	١٨,١٥	١٩,٢٢
طرابلس الغرب	٤,٤٨	٦,١٠	١٢,١٦	١٥,٤٣	١٨,١٩	١٩,٣٦
عمان	٤,١٨	٥,٤٠	١١,٤٦	١٥,١٣	١٧,٤٨	١٩,٠٤
مسقط	٤,٥٤	٦,٠٩	١٢,١٥	١٥,٤١	١٨,١٨	١٩,٢٧
مقديشو	٤,٥١	٦,٠٠	١٢,٠٧	١٥,١٣	١٨,١١	١٩,١٥
نواكشوط	٥,٥٥	٧,٠٦	١٣,١٣	١٦,٣٧	١٩,١٧	٢٠,٢٣
انقرة	٤,٢٣	٥,٥١	١١,٥٨	١٥,٢٢	١٨,٠٠	١٩,٢٥
طهران	٤,٤١	٦,٠٥	١٢,١١	١٥,٣٧	١٨,١٥	١٩,٣٣
اثينا	٥,٠١	٦,٢٩	١٢,٣٥	١٦,٠٠	١٨,٣٧	١٩,٥٩
برلين	٤,٣٢	٦,١٠	١٢,١٦	١٥,٣٠	١٨,١٨	١٩,٤٩
بروكسيل	٥,٠٩	٦,٤٦	١٢,٥٢	١٦,٠٧	١٨,٥٣	٢٠,٢٦
باريس	٥,١٦	٦,٥٤	١٣,٠٠	١٦,١٨	١٩,٠٣	٢٠,٣٣
جنيف	٥,٠٠	٦,٣٩	١٢,٤٥	١٦,٠٤	١٨,٤٧	٢٠,١٨
روما	٤,٤١	٦,١٤	١٢,٢٠	١٥,٤٣	١٨,٢٢	١٩,٤٨
سارايفو	٤,١٤	٥,٤٩	١١,٥٦	١٥,١٨	١٧,٥٧	١٩,٢٧
ستوكهولم	٤,١٤	٥,٥١	١١,٥٨	١٥,٠١	١٨,٠٠	١٩,٣٠
كوبنهاغن	٤,٣٥	٦,١٣	١٢,٢٠	١٥,٢٨	١٨,٢٢	١٩,٥٢
لندن	٤,٢٦	٦,٠٣	١٢,٠٩	١٥,٢٤	١٨,١١	١٩,٤٤
مدريد	٥,٤٧	٧,١٧	١٣,٢٤	١٦,٤٨	١٩,٢٦	٢٠,٥٢
نيقوسيا	٤,٢٦	٥,٤٩	١١,٥٦	١٥,٢٢	١٧,٥٩	١٩,١٧
واشنطن	٤,٤٣	٦,١٢	١٢,١٨	١٥,٤١	١٨,١٩	١٩,٤٢
اوتاوا	٤,٢٩	٦,٠٥	١٢,١٣	١٥,٣٣	١٨,١٥	١٩,٤٧

* تقويم المركز الاسلامي في آخن ـ المانيا.